

المسرح الأمازيغي في الجزائر-دراسة في المفهوم والأشكال

Amazigh theater in Algeria - a study in concept and forms

بحري قادة¹

¹ جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس kada.bahri@univ-sba.dz

المعلومات المقال	الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)
<p>تاريخ الارسال: 2020/...../.....</p> <p>تاريخ القبول: 2020/...../.....</p>	<p>إن البحث في المسرح الأمازيغي من حيث المفهوم والأشكال، يقودنا لتتبع المراحل الأولى أو ما يعرف بالجدور التاريخية للمسرح الناطق بالأمازيغية، وكذلك التطرق إلى أهم الأشكال التي ميزته.</p> <p>فالهدف من هذه الورقة البحثية هو التعريف بالمسرح الأمازيغي وذكر رواده، وكذلك الإشارة إلى أهم الأشكال التراثية الضاربة في عمق الأسطورة والمعتقدات الشعبية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الأمازيغي والأدب الذي ينتمي إليه، وعلى العموم توصلنا إلى أنه لا يمكن بأي حال فصل هذا المسرح الأصيل عن مسيرة المسرح الجزائري الطويلة منذ الجهود الأولى التي تعرف بالظواهر التمثيلية.</p>
<p>الكلمات المفتاحية</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ المسرح الأمازيغي ✓ الرواد ✓ الأسطورة ✓ التراث 	<p><i>Abstract : (not more than 10 Lines)</i></p> <p><i>The research on the Amazigh theater in terms of concept and forms leads us to trace the first stages or what is known as the historical roots of the Amazigh-speaking theater, As well as addressing the most important forms that characterized it. The aim of this research paper is to introduce the Amazigh theater and mention its pioneers.</i></p> <p><i>As well as referring to the most important forms of heritage striking in the depth of myth and popular beliefs that are closely related to the Amazigh society and the literature to which it belongs, In general, we concluded that this authentic theater cannot be separated from the long march of Algerian theater since the first efforts known as representational phenomena.</i></p>
<p>Article info</p> <p>Received</p> <p>Accepted</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Amazigh theater ✓ Algerian theater ✓ eprezentational phenomena. ✓ Amazigh society 	

المؤلف المرسل: بحري قادة

1. مقدمة:

يشكل البحث في حقيقة ومسار المسرح الأمازيغي، تتبع الجذور التاريخية لنشأته وأهم مراحل تطوره منذ أزل طويل، وهو ماستقف عليه في هذا المقال العلمي، ولا يمكن بأي حال فصل هذا المسرح الأصيل عن مسيرة المسرح الجزائري الطويلة سواء مع البداية الفعلية مع مسرحية حجا لعلالو أو مع جل الجهود الأولى التي تعرف بالظواهر التمثيلية.

وعلى هذا الأساس سنقف عند موضوع يتعلق بمفهوم ونشأة المسرح الأمازيغي، وأهم المصادر التي يعتمد عليها ناهيك عن رواده. والهدف من البحث هو محاولة رصد تجربة هذا المسرح الذي يعد من بين أهم الوسائل الداعمة لنشر الثقافة الأمازيغية والتعريف بها، خاصة أن المسرح الأمازيغي مسرح متنوع الأجناس ذلك لتعاقب الحاضرات التي مرت على دول شمال إفريقيا ومن بينها الجزائر بوجه خاص، وقد اشتهر الأمازيغ بعدة احتفالات وتظاهرات شكلت داعما قويا لبروز هذا المسرح.

مما سبق، نهدف للكشف عن طبيعة المسرح الأمازيغي ونشأته وتطوره من جهة، وكذا البحث في مسيرته الحافلة والطويلة بالإنجازات لنحدد بداياته ومصادره الأولى، ثم الوصول إلى المسرح الذي نعرفه الآن كمسرح أمازيغي بخلفياته التاريخية والحضارية، والثقافية التي مهدت له الطريق، وهذا مايتفق عليه مجموعة من النقاد الأكاديميين المهتمين به، كالباحث بوزعيب بلال، عثمان عبد الوهاب، وعلى رأسهم الناقدة طامر أنوال من خلال تجربة طويلة في مسار الكتابة النقدية على غرار مؤلفها حفريات المسرح الجزائري الذي وثقنا منه الكثير في هذا البحث، نظرا لأهمية محتواه وقيمه العلمية التي تستوجب على النقاد والطلبة العودة إليه في دراساتهم.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الآتي:

ما مفهوم المسرح الأمازيغي، وماهي أهم مصادره التي اعتمد عليها الرواد الأوائل؟

2. نبذة عن نشأة وتطور المسرح الأمازيغي:

1.2 مفهوم المسرح الأمازيغي:

إن المسرح هو أحد أشكال التعبير القديمة التي وجدت منذ نشأة الإنسان، حيث عبر عن طموحاته و أفكاره تعبيرا تميز بذوق جمالي على اختلاف مناطق تواجده ، ونعني بللمسرح الأمازيغي: "ذلك المسرح الذي أنتجه الإنسان البربري منذ تواجده فوق أرض تامازغا (شمال إفريقيا) أو خارجها، ولا يمكن الحديث عن المسرح الأمازيغي إلا إذا أنتجه أو ساهم فيه المبدع الأمازيغي ذاتا ولغة وهوية وموضوعا وقضية" (سلطاني، 2017، صفحة 08)، وباعتبار الكتابة فيه مغامرة تشوبها العديد من النقائص التي لا يمكن في الكثير من الأحيان تفاديها، لا بد من التطرق للحدث عن أهم المحطات التي مر بها..

يهتم المسرح الأمازيغي بتصوير الثقافة الأمازيغية بكل أبعادها الإبداعية والتاريخية التي أضحت تلقى اهتماما أكاديميا حقيقيا، ومن بين أهم خصائص المسرح الجزائري والأمازيغي ظهور نخبة من الأدباء والكتاب الذين توجهوا الى الكتابة المسرحية، وكان هدفهم قبل الاستقلال : التوجه الى المسرح الثوري قصد مواكبة الأحداث المتنوعة في الجزائر ، وبالتالي ربط المسرح بالثورة، وكذا المساهمة في نشر الوعي الثوري في أوساط المجتمع الجزائري بهدف دعم الثورة التحريرية، وسنعود لكل الرواد والمساهمين في تطوير الحركة المسرحية الأمازيغية لاحقا.

وتناول عدد من الأكاديميين والدراسين للأدب الأمازيغي وفنونه المتنوعة في أشغال يوم دراسي نظم بمحافظة المهرجان الثقافي الوطني للمسرح الأمازيغي بباتنة 2022، عرف طارق ثابت المسرح الأمازيغي: "أنه فن جمالي لا يعرف الفردية، بل هو فن جماهيري يتناول الموضوعات المتوازنة ويتجاوب مع احتياجات المجتمع، ويمثل واقعا عقليا أكثر مما يمثل واقع بصريا، مجسدا جميع أشكال حياة الإنسان الأمازيغي القديم على غرار الرموز والأساطير والرسوم المختلفة والتي لاتزال مستمرة إلى حد الساعة" (ثابت، المسرح الأمازيغي رحلة تتذوق فيها الفنون جمالياتها المتوارثة، 2022)

وأما عثمانى عبد الوهاب فيعرف المسرح الأمازيغي أنه: "من الفنون الأمازيغية الأكثر انتشارا على المستوى الشعبي، وذلك من خلال مجموعة من الأشكال والأنماط المسرحية التي ظلت إلى يومنا هذا،... والأكد أنه بمجرد توفر هذه العناصر في المسرح الأمازيغي فإنه سيشغل مكانة مهمة ضمن خارطة التجارب المسرحية... والحقيقة أن ملامح المسرح الناطق بالأمازيغية ظهر بعد الحرب العالمية الثانية حيث لعب دورا هاما في نشر الوعي السياسي ومحاربة الآفات الاجتماعية، حيث كان وسيلة للترويج للثورة" (عثماني، تجربة المسرح الأمازيغي، 2006، الصفحات 7-17)، يقصد هنا الأشكال الاحتفالية الشعبية والتراثية مثل: أعياد يناير ومواسم الحصاد... الخ، وحتى يحتل المسرح الأمازيغي مكانته ويؤسس منهجه وأساليبه على مستوى الكتابة والإخراج لا بد من ترسيخ التقنيات والآليات الفنية والتقنية وفق قوالب درامية وصيغ جمالية، وتقول في هذا السياق خالي روزة: "أن المسرح الأمازيغي نشأ على شكل فرجات وألعاب فلكلورية واحتفالات وطقوس ومرويات مشخصة شعبية تمارس في المدن والقرى والبوادي، ومنها اليومي والمناسباتي والموسمي" (روزة، 2019، صفحة 59)، من خلال هذه الطقوس والأشكال الفرجية يتبين لنا أن المسرح الناطق بالأمازيغية هو مسرح قديم النشأة وعرف انبعاثا جديدا، ومما سبق، يظهر أنه ارتبط بوجود أشكال تتصل بالأساس بفنون الحكى والرقص والغناء، ويمثل تسميتها بأشكال ما قبل مسرحية في صورة ظواهر تمثيلية انتشرت في إطار الاحتفالات بالأعياد والمناسبات.

وخلاصة القول، يتفق العديد من النقاد والدارسين حول الثقافة والأدب الأمازيغي وعلى رأسهم الناقدة نجلاء نجاحي على تسمية المسرح الأمازيغي نسبة لعدة عوامل أبرزها اللغة، والانتماء الإثني، والمتلقي، والمؤلف، والمضمون (نجاحي، 2016، صفحة 62)، يعني ذلك أن المسرح الذي أنتجه الإنسان البربري منذ تواجده فوق أرض تامازغا(شمال إفريقيا) أو خارجها، حيث كانت تقدم عروضاً مسرحية توظف فيها الموسيقى والرقص والتشكيل السينوغرافي البصري الذي يحاكي الخصوصية البربرية، عرف تطوراً وتحمداً وفق كينونة منتظمة وقطع شوطاً من خلال تطور الأشكال التمثيلية ما قبل المسرحية، ومر بمرحلتها التأسيس والتأصيل لمسرح جزائري أمازيغي خاص ببيئة محلية تحاكي الهوية بعيداً عن دائرة المسرح الشعري الكلاسيكي الغربي. لذا، وجب على رواد المسرح الأمازيغي الاهتمام والتوجه إلى النص المستلهم من الواقع المحلي ومن إلى الإرث الثقافي بكل ما يحمله من تراكمات معرفية وإنسانية حتى تتحقق الأشكال الفرجية المسرحية التي تزخر بها الثقافة الأمازيغية وبالتالي، لا يمكن اعتبار المسرح إرثاً أو إنتاجاً أمازيغياً إلا إذا كانت الهوية الأمازيغية على مستوى الإبداع والإنتاج حاضرة وممتدة بجدورها في عدة مستويات: كالكثافة والتمثيل والإخراج، ناهيك عن ضبط مستويات التلقي المسرحي ضبطاً صريحاً في ظل التحولات التي تطرأ على العملية المسرحية المعاصرة كالاتجاه الأكاديمي الذي يعتبر المجال الخصب لتطوير المسرح.

2.2 جذور المسرح الأمازيغي:

يقودنا الحديث عن جذور المسرح الناطق بالأمازيغية أو- المسرح الأمازيغي كمصطلح يتفق عليه النقاد الدارسين للمسرح الجزائري- إلى فترة التواجد الروماني في منطقة شمال إفريقيا، حيث كان لهذا التواجد الأثر البالغ والفضل الكبير في ظهور المسرح الأمازيغي القديم من خلال تلك البنايات والآثار القديمة التي بقيت متواجدة حتى وقتنا الحاضر؛ ويرجع العديد من الباحثين المهتمين بشؤون المسرح الجزائري بصفة عامة، والمسرح الأمازيغي على وجه الخصوص في مسألة ظهوره ونشأته بالنسبة لمنطقة المغرب العربي أمثال صالح مباركية الذي يقول في هذا الشأن أنه يعود: "إلى الفترة الرومانية مستدلين على ذلك بتلك الآثار التي تؤكد على وجود مسارح اشتهرت بها مدن رومانية في شمال إفريقيا" (لمباركية، المسرح في الجزائر، النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، 2005، صفحة 10)، لكن لم يستدلوا على ذلك بنصوص مسرحية تؤيد دعواهم مما يجعل هذا الرأي ضعيف، إذ لم تكن الجزائر بمعزل عن الحضارات العالمية، بل توافدت إليها العديد من الحضارات، مثل الحضارة الرومانية والفينيقية واليونانية، وقد أدى هذا إلى انصهار البربر معهم فتمازجت العناصر الثقافية والمقومات الفكرية بكل ما تحمله من رؤى فكرية وإيديولوجية.

وتذكر طامر أنوال أنه: "بمجيء الفينيقيين عرف البربر طقوساً تعبدية جديدة، كما عرفوا شيئاً من الحضارة والتمدن، واكتسبوا بعضاً من الثقافة المسرحية من اليونان القدامى، هذه الثقافة التي تجسدت أكثر بدخول العنصر الروماني إلى بلاد المغرب" (أنوال، 2007، صفحة 101)؛ من خلال هذا القول، يظهر لنا أن هذا التمازج أدى إلى تطور البناء على مستوى العمران، وشمل أيضاً الميادين العلمية والثقافية، مما أدى إلى تشييد عدد من البنايات المسرحية كمسرح جميلة وتيمقاد، وتطورت

أيضا المسارح نصف الدائرية ، وأحدث هذا تأثيرا من كل الحضارات الرومانية والفينيقية واليونانية والمصرية الفرعونية القديمة على سكان شمال إفريقيا.

ويرجع العديد من الدارسين ظهوره ونشأته في منطقة المغرب العربي سواء في المغرب والجزائر وتونس وليبيا نسبة لتلك البنايات، حيث "عايش الأمازيغي هذه البدايات بظهور هذا الفن... إن آثار مدينة تيمقاد المدينة التي بناها الرومانيون عام 168م حيث أقاموا مسرحا يتسع إلى خمسة آلاف متفرج، كذلك سيرتا بقسنطينة ومسرح جميلة هي الدليل المادي على وجود حركة ثقافية مسرحية عرفت الجزائر منذ القدم" (عثماني، تجربة المسرح الأمازيغي، 2006، صفحة 05).

وتعد هذه الحقائق في إعتقادي، بمثابة وجود تفاعل وتأثر حضاريين بين سكان البربر وطقوسهم الاحتفالية مع المسرحين الروماني وحتى اليوناني الذي سبقه في الظهور؛ وعلى العموم عرف الأمازيغ خلال الفترة اللاتينية إزدهارا حضاريا حتى مع الحضارة الفينيقية والفرعونية القديمة وأحدث كل هذا تنوعا وتميزا في الثقافة الأمازيغية مما انعكس في ممارسة الأشكال التمثيلية ما اصطلاح عليه بمقابل المسرحية كظواهر مجتمعية صحية لكل مجتمع ووفق بيئة معينة، ومن الأسباب الداعمة لبروز هذه الأشكال المسرحية خاصة في العهد النوميدي هو ذلك الحرص والدعم الكبير لكل أشكال ومظاهر الثقافة والفن المسرحي من لدن مجموعة من المماليك على رأسهم الملك يوبا الثاني، فحسبما أشار إليه صالح مباركية أن يوبا الثاني كان مولعا بالأدب والفنون والعلوم التي انتشرت منذ بزوغ أشكال التعبير الأدبي عند اليونان، والرومان، وقد قام بتشكيل مجموعة من الفرق التمثيلية لممارسات عروض فرجوية، ومن أبرزهم البطل ليونطوس لايربخوسي الذي أدى أدوارا بارزة (لمباركية، المسرح في الجزائر، 2007، صفحة 10).

3. رواد المسرح الأمازيغي:

تعود البدايات الحقيقية للمسرح الأمازيغي الحديث إلى القرن 20م، واختلفت وتعددت الروايات فيما يخص أول من ترك بصمته في ريادة الاشتغال والبدء بالإبداع المسرحي في مجالات الكتابة أو الترجمة والاقتراب في المسرح الأمازيغي، وتعددت الروايات بين من يقول ظهر مع "محمد أوسلام العمراي" حيث كان طالبا في المعهد العالي الإسلامي ثم تخرج منه واشتغل أستاذا بمرحلة التعليم الثانوي، وقام بإقتباس مجموعة من السكاتشات والمقاطع -ربما بعض المشاهد في اعتقادي- المسرحية للكاتب المسرحي الفرنسي "موليير"، حسب الباحث في مجال المسرح الأمازيغي عثماني عبد الوهاب؛ إذ يصرح في مذكرته: تمثل هذه التجربة الأولى التي فتحت الطريق وأهلت العديد من الممثلين الهزليين وهذا ما تثبتته مذكرات محمد حلمي - من الناي الراعي إلى الخشب السحري- " (عثماني، تجربة المسرح الأمازيغي، 2006، صفحة 18).

مما سبق يتبين لنا أن تجربة المسرح الأمازيغي ساهمت في مسار الثورة التحريرية واعتمد الكتاب على الترجمة والاقتراب والتأليف، كما يبرز جليا محاولات بوعلام ربيعة وحلمي محمد اللذان قاما بتقديم تمثيلات وعروض مسرحية في كل من منطقتي "أزفون

والعزازقة" سنة 1952، إحداهما بعنوان: "ماث احشكولن" من تأليف محمد حلمي، والثانية من اقتباسه بعنوان: "سي مزيان" للمسرحي المبدع "محي الدين بشطارزي"، إذن تمثلت هذه الجهود المحاولات والبوادر الأولى التي تحتاج إلى مزيدا من الدراسة والبحث والتقصي.

وأما بعد الاستقلال عرفت الانطلاقة الحقيقية للمسرح الأمازيغي، حسب الكثير من الروايات إذ يقول في هذا الصدد عمر أزراج: "في بدايات مرحلة الاستقلال الوطني الجزائري بدأ المسرح باللغة الأمازيغية يظهر هنا وهناك رويدا رويدا... في تلك المرحلة قد تشكلت في الأرياف وفي المدن مجموعات وفرق مسرحية، الأمر الذي وفر مناخا إيجابيا جزئيا للنشاط المسرحي الأمازيغي في الجزائر رغم مختلف أشكال العراقيل التي وضعت أمام المسرحيين" (أزراج، 2020)، ولايفوتنا هنا أن نبرز حقيقة المسرح الجزائري على وجه العموم، فقد كانت البدايات بعد الاستقلال بداية تعتمد على مسرح الهواة من خلال تقديم مجموعة من الأعمال التي تستند لروافد الترجمة والاقتباس، حيث كان كل من يمتلك روح الفكاهة يقوم بخلق نوع من الفرحة من خلال إقامة عروض حلوقية بمناسبة حفلات الزواج والغناء والحكايات الشعبية، وعلى هذا الأساس تؤكد أن المسرح بعد الاستقلال وبعد مساهمة الحركة المسرحية الجزائرية لمعظم التجارب العالمية الفنية والثقافية كان لزاما عليه ضرورة مراجعة خارطة التسيير وهو ما تحقق مع اللامركزية وتم انشاء المسارح الجهوية، وعلى الرغم من هذه المبادرة فقد ازداد ضعف الحركة المسرحية عامة بعد الاستقلال.

وكانت الجهود التي قام بها "كاتب ياسين" الكاتب المسرحي في الساحة المسرحية الجزائرية الذي أسس فرقة مسرحية قدمت عدة عروض مسرحية أهمها: "مسرحية يحمل حقيته" مستخدما اللهجة الأمازيغية "الدارجة" - طبعا أصبحت لغة رسمية فيما بعد-، وقد استخدمها ووظفها كسبيل للوصول إلى المتلقي القبائلي كجمهور خاص، وللمتلقي الجزائري على وجه العموم، وقد مثلت بمنطقة القبائل (نجاحي، 2016، صفحة 68)؛

وعلى صعيد آخر، الحديث عن رواد المسرح الأمازيغي الجزائري يقول المخرج المسرحي أحمد خوزي في حوار لجريدة الاتحاد: "قد بدأ في الثمانينات، على يد رجال المسرح أمثال الراحل محمد أويحيى المعروف باسم موحيا، الذي قام بمجهودات كبيرة للنهوض بالفن الرابع الأمازيغي من خلال ترجمة واقتباس العديد من النصوص العالمية، وبدأ بالنهوض جليا في الساحة الثقافية منذ عام 2000، فعرف طريقه للنجاح والانتشار عبر الاحتكاك والتعريف بثقافته وموروثاته وميزاته في المهرجانات المقامة في داخل الجزائر وخارجها" (خوزي، 2013)، وعلى الرغم من هذه المحاولات عموما من طرف مجموعة من الكتاب ورواد الحركة المسرحية بالجزائر على غرار كاكي وعلولة وبن قطاف وكاتب ياسين.... الخ، عرف المسرح الجزائري عرف ركودا في الفترة التي جاءت بعد الاستقلال مباشرة لمجموعة من الأسباب.

وقد تطرق إلى ذلك الباحث عمر قبائلي في مقال بعنوان نظرة تاريخية وأثنروبولوجية حول المسرح الجزائري إذ يقول: "دخل المسرح الجزائري بداية الثمانينات مرحلة جديدة دعت دق ناقوس الخطر حتى ذهب بعضهم إلى القول إن المسرح الجزائري بدأ يعيش حالة الركود. فلماذا أجمع الكل على أن بداية أزمة المسرح الجزائري كانت ابتداء من سنة 1980..." (قبائلي، دراسات فنية، 2022)، وهذا القول على لسان مخلوف بوكروح الذي أرجع أهم أسباب هذا الركود إلى تمركز النشاط المسرحي في الجزائر بصفة عامة في المدن الكبرى، ناهيك عن ضعف الكتابة المسرحية؛ وبالتالي غياب النص الدرامي المكتوب بتقنيات وآليات محكمة غلب في مقابل ذلك طغيان الترجمة والاقتباس الذي يفقد المضامين الفكرية والرؤى التصورية للواقع الاجتماعي واليومي للمجتمع الجزائري بكل أطيافه.

4- مصادر وأشكال المسرح الأمازيغي: تعددت مصادر وأشكال المسرح الأمازيغي ما بين التراث، القيم والمبادئ، المعتقدات الشعبية، الأقوال المأثورة، الخرافة، الحكاية، القصص الشعبي، والأسطورة، وسنحاول الإمام بالأشكال التراثية الأكثر إنتشارا كون هذا البحث لا يعدو إلا نقطة صغيرة في مجال يحتاج إلى الكثير من الدراسات والأبحاث.

4-1 التراث:

إن أهم المصادر التي اعتمد عليها رواد المسرح الأمازيغي واغترفوا منها للثيف وعرض أعمالهم المسرحية هو مادة التراث، وكل أشكاله من الأسطورة التي تقرب الفنان المسرحي بالمتلقي بواسطة توظيفه الرموز والايحاءات، لتجسيد الحضور الإنساني البناء في الحركة الثقافية التي عاشتها البلدان المغاربية وما زالت في سبيل التطور والازدهار، "فالأدب الأمازيغي لم يشكل استثناء لهذا التطور الطبيعي... إذ استلهم الأمازيغي من الأسطورة ما وجدته مناسبة وطعم به أعماله الإبداعية، وكما هو معلوم من أصحاب هذا الاتجاه الرمزي يتخذون من الرمز أداة فنية في عمليتهم التصويرية" (عثماني، تجربة المسرح الأمازيغي، 2006-2007، صفحة 33)، وتعددت الرموز الأسطورية التي وظفها الكتاب و تشكلت الطقوس الخاصة بالمسرح الأمازيغي حيث ارتبطت أيضا بجملة الممارسات الاجتماعية، اليومية، وكذا المناسباتية والموسمية على حد سواء، ويمكن حصر أهم التظاهرات الطقوسية الخاصة كمايلي:

4-2 الطقوس الفلاحية les agraire rites:

أكد الباحث بوزعيب بلال أثناء حديثه عن المسرح الأمازيغي بين الطقوس القديمة والمسرح الحديث أن تسليط الضوء على نشأة وتطور المسرح الأمازيغي، يتطلب الإمام بالدراسات والبحوث التي اهتمت بشعوب (شمال إفريقيا) حيث عرفت أشكالا فرجاوية أو كما يطلق عليها "الأشكال ما قبل المسرحية"، من خلال ممارسات طقوسية تراثية على غرار الشعب الأمازيغي الذي يعتبر المسرح ثقافة متجذرة في هويته، وبالرغم من أن البحث في تاريخ المسرح الأمازيغي في الجزائر أمر صعب، وهذا راجع لتأثره بعدة حضارات متعاقبة، وهو ما جعل منه مسرحا ذا خصائص تختلف عن المسرح الناطق بالعربية. فالمسرح الأمازيغي من خلال تميزه بلغة خاصة كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من الهوية الوطنية. بالإضافة إلى ما ذكر، يحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على أهم المصادر التاريخية التي أنشأت البذور الأولى للمسرح الأمازيغي، وصولا إلى أهم المصادر الحديثة التي أعادت بعثه من جديد، بالإضافة إلى لغته الأم.

وفي هذا الصدد يقول: أنه " إذا تعمقنا أكثر في فحوى هذه التظاهرات التقليدية التي مازال بعضها يمارس إلى غاية اليوم في مناطق: القبائل، الشاوية التوارق، نجدها تتمتع بالخصائص الجوهرية للمسرح كوسيلة اتصالية من جهة وذلك يعود إلى توفرها على كل عناصر العملية الاتصالية من مرسل، رسالة، ومتلقي، أضف إلى ذلك التفاعل المباشر للجمهور، ومن جهة أخرى تشكل فن ولون أدبي نظرا لما تترجمه من معان وقيم ضمن ديكور بسيط مستمد مما تمنحه الطبيعة في ذلك العصر. (ثميلة، 2018\2019)

وتعد من أقدم السلوكات الطقسية التي عرفتها البشرية عامة وسكان شمال إفريقيا على نحو التحديد. إذ هي سلوكات تمارس وفقا لمواسم الرزنامة الفلاحية الأمازيغية؛ ابتداء من موسم الحرت "tayarza" حيث تؤدي سلوكات طقسية على مرأى المساعدين "iwiziwen"، فخرج العائلة التي يحرت لها غربالا مملوء بمزيج من التين المجفف "tazart" والقمح "irden" ويقومون بتوزيع ذلك على كل من يساعد في الحرت تفاعلا بكثرة غلة الموسم، وتقف المرأة أمام المحراث وتتلفظ عبارات تدعو فيها بكثرة المنتج كآن تقول: *Tayarza n ssaba, irgazen ed yezgaren awar refren* وتعني الحرت الذي سيأتي بغلة وفيرة، اللهم لا تحرمنا من الرجال والشيران، بحكم أنهما العنصران الأساسيان في خدمة الأرض. (ثميلة، 2018\2019)

3-4 طقوس يناير:

تعد الاحتفالات الفرجية السنوية التي تقام بمناسبة شهر يناير في الثقافة الأمازيغية كونه يحمل رأس السنة المصادف الثاني عشر من الشهر حسب الرزنامة الفلاحية، ولعل أشهر المناسبات الاحتفالية تلك التي تقام في منطقة القبائل ومنطقة "بني سنوس بتلمسان"، ويمكن العودة لمؤلفات الباحث عبد الكريم بن عيسى حول "تراث أيراد" الذي فصل في الظاهرة من كل جوانبها الفنية والفكرية والتاريخية. حيث يعبر السكان عن فرحتهم بحلول السنة الجديدة بطقوس تفاعلية للتعبير عن زيادة الخير والبركات في الأرزاق ذلك من خلال إعداد وجبة الكسكس بالبقوليات المسلوقة تيمنا بالتكاثر وزيادة أفراد العائلة.

إذ تعد طقوس احتفالات "بني سنوس بتلمسان" الأقرب لل شكل الدرامي والمسرحي، من خلال مهرجان "ayrad"، (أيرد) حيث تسير حشود مقنعة من الناس في كل أزقة القرية وهم يغنون، يصفقون ويرقصون، يقودهم شخص مقنعة على هيئة أسد "ayrad" للدلالة على القوة والسيادة، وهما صفتان مقدستان في الثقافة الأمازيغية، وقد أستلهم هذا الطقس من قدسية الملك الأمازيغي "cecneq" (شيشناق) الذي تفوق على فرعون مصر منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة حسب ما تناقله الباحث ون في الثقافة الأمازيغية، وحول مسألة عدم فهم العرض المسرحي ومفرداته بسبب مسألة اللغة الأمازيغية، يقول عثمان عبد الوهاب أنه من "الاحباطات التي يعاني منها الفنان المسرحي - يقصد الأمازيغي- حين يقدم لعرض مسرحي ناطق بلغته فتكون جل الانتقادات حول اللغة أي لماذا تعرض هذه المسرحيات باللغة الأمازيغية؟، بدعوى أنهم لا يفقهون في هذه اللغة أي شيء والإشكالية هنا لاتعني الفنان المسرحي بقدر ما تعني المتلقي من جمهور ونقاد فهم مجربون على فهم هذه اللغة العريقة والقديمة لقدم أهلها" (عثماني، تجربة المسرح الأمازيغي، 2006-2007، صفحة 10).

وفي إعتقادي، وجب علينا كدارسين ونقاد وجمهور مسرحي التوجه بقوة لتعلم وفهم اللغة الأمازيغية إن صح القول، حتى تسهل علينا عملية دراسة النصوص الأمازيغية وفهم العروض المسرحية لتذوق الفن القبائلي الهادف؛ والذي يشكل جزءا من هوية المسرح الجزائري بكل أجناسه.

4-5 طقوس أنزار anzar en tislit: إن إقامة هذه الطقوس الموسمية تشكل طقسا فلاحيا آخر لدى الأمازيغ، فطبيعته تختلف عن باقي الطقوس السالفة الذكر، كونه لا يرتبط بموسم محدد، إنما يتم أداؤه حينما تمسك السماء ماءها لمدة

طويلة من الزمن، فيقوم الكبار بالنداء لهذا الطقس، فيقومون بتزيين ملعقة كبيرة الحجم " arunja " إذ يصممون فوقه وجه فتاة، ويلبسونه ألبسة نسوية وتصبح بذلك عروسا جميلة ترفعها أطول فتاة وسط وفد من سكان القرية؛ لتقدمها قربانا لإله المطر "أنزار"، حيث تمر قافلة من الشعب على كل المنازل منشدين أغاني وأشعار يا أنزار، إلهي أبعد عنا الجفاف، اسق النبات حتى الجذور، اسق قمح السهول حتى تمتلئ السنابل، الماء للنبات والعروس لك (ثميلة، 2018\2019)

وهذه الطقوس تنتشر في كامل أرجاء الجزائر رغم اختلاف طبيعتها وأسلوب أدائها من منطقة إلى أخرى ، والعامل المشترك فيها تلك الدمية الكبيرة التي تمثل قربانا لرب المطر "أنزار".

5- انتقال المسرح الأمازيغي من الشفهي إلى الكتابة:

من خلال اعتبار مسيرة المسرح الأمازيغي حافلة بالإنجازات على غرار تجارب "محمد سي موحيا"، "كاتب ياسين"، ... الخ، وهو مسرح يجسد التفاعل القوي والثابت مع المسرح العالمي المعاصر على مستوى الكتابة والتمثيل والإخراج، كونه يزخر برؤى فكرية وفنية وجمالية متميزة، كان لزاما على رواده والمهتمين به أن ينتقلوا من الشفهي إلى الكتابة وفق مخطط مدروس وممنهج، فالبدايات كانت من خلال نماذج من عروض مسرحية هاوية ناطقة باللغة الأمازيغية، وقد أشارت كل من حدار كهينة وبوعزيز صبرينة أن: " المسرح في المجتمع القبائلي ظهر على شكل مظاهر احتفالية نظرا لثقافتهم التي سادت فيها الشفوية أكثر من الكتابة، لأن ذلك كان نابعا من الطبيعة والحاجة إلى الاحتفال الذي هو لقاء حي ومباشر مع الناس، له قضاياها المشتركة وطعمه الخاص...".

(بوعزيز صبرينة, حدار كهينة)

ولعل هذا السبب جعل عملية التحول بالنسبة للأدب المسرحي الأمازيغي من طبيعته الشفوية إلى الكتابة ممكنة وسهلة لعدة عوامل:

- تنوع الأمازيغ في الجزائر إلى القبائل، الشاوية، المزابية، التوارق، وحتى بدرجة أقل الشنونة والشلوح لقلتهم.
- اعتبار الأدب الأمازيغي بمختلف مظهراته وتوجهاته من أسمى الفنون والآداب في الدول المغاربية عامة، وفي الجزائر على وجه الخصوص.

ويشير محمد أفقير في حديثه عن التحول الذي شهده الأدب الأمازيغي من الشكل الشفوي إلى شكل الكتابة نقلا عن الباحثة راشدة صوام: " إن تحول الأدب الأمازيغي من طبيعته الشفاهية إلى الكتابة ليس من قبيل التحولات العادية والبسيطة التي قد تمس كل الآداب والثقافات بين الفينة والأخرى، تبعا لما يستجد من معارف ومناهج وأحداث بل هو انتقال إلى عمق مسار هذا الأدب " (صوام، 2018)، وهو بذلك يشكل مسارا حقيقيا وثورة معرفية تتجسد في تاريخه.

توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى جملة النتائج التالية:

- المسرح الأمازيغي من خلال مسيرته الطويلة أثبت تميزه بلغة خاصة وهو بذلك جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية الجزائرية، وهو ما جعله يتميز بخصائص تختلف عن المسرح الناطق بالعربية، وكلاهما وجهان لعملة واحدة يعبران عن مسرح جزائري قائم بذاته.
- المسرح الأمازيغي من خلال عدة تجارب كتجربة "محمد سي موحيا"، "كاتب ياسين"،... الخ، هو مسرح يجسد التفاعل القوي والثابت مع المسرح العالمي المعاصر على مستوى الكتابة والتمثيل والإخراج.
- إن عملية البحث في تاريخ المسرح الأمازيغي في الجزائر أمر شائك، وهذا راجع لتأثره بعدة حضارات متعاقبة، ومن خلال تنوع الممارسات الطقوسية التراثية التي فصلنا في ذكرها.
- المسرح الناطق بالأمازيغية سهل مسار تطور الحركة المسرحية والثقافية على وجه العموم حتى وصلنا إلى تأسيس المسرح الأمازيغي بكل معالمه وتقنياته.

الهوامش:

أحمد خودي. (13, 01, 2013). جريدة الاتحاد. تاريخ الاسترداد 25, 01, 2023، من اللغة الأمازيغية لم ولن تكون عائقا لتطور المسرح الأمازيغي: <https://www.djazairress.com/elitihad/29808>

- بوبر بلقاسم. (بلا تاريخ). أنزار أنزار أربي أسويت أرزار... أمازيغ الجزائر يحيون أسطورة إله المطر. تاريخ الاسترداد 4 ديسمبر، 2022، من بوزعيب بلال. (2022). بوقبال وريادة بنت الطاهر، أنشودة بوغنجة،. سطيف.
- بوعزيز صبرينة، حدار كهيبة. نماذج من عروض مسرحية هاوية ناطقة باللغة الأمازيغية قبائلية-دراسة موضوعاتية. جامعة تيزي وزو: الجزائر. خالي روزة. (2019). إشكالية المسرح الأمازيغي المعاصر بين الكائن والممكن. مجلة روافد، 59.
- راشدة صوام. (2018). حضور الحكاية الشعبية الأمازيغية في الجنوب الجزائري-دراسة سوسيو ثقافية. تأليف الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري (صفحة 10). الجزائر- دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
- صالح سلطاني. (2017). التفاعل الحضاري بين المسرحين اليوناني-الروماني والأمازيغي النوميدي مسرحية فتاة من أندوروس للمسرحي ترنس آفر أنموذجا. قسم الفنون: جامعة سيدي بلعباس.
- صالح مباركية. (2005). المسرح في الجزائر، النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972. دار الهدى عين مليلة: الجزائر.
- صالح مباركية. (2007). المسرح في الجزائر. دار بهاء الدين للنشر والتوزيع: قسنطينة.
- طارق ثابت. (09, 11, 2022). الأدب والفنون الأمازيغية رؤية جديدة. تاريخ الاسترداد 2022، من الأوراس نيوز، المسرح الأمازيغي... رحلة تذوق فيها الفنون جمالياتها المتوارثة: <http://www.elauresnews.dz>
- طارق ثابت. (09, 11, 2022). المسرح الأمازيغي رحلة تذوق فيها الفنون جمالياتها المتوارثة. تاريخ الاسترداد 22, 01, 2023، من الأوراس نيوز: <http://www.elauresnews.dz>

- طامر أنوال. (2007). حفريات المسرح الجزائري، المسرح النوميدي في العهد الروماني. دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة: الجزائر.
- عبد الوهاب عثمانى. (2006). تجربة المسرح الأمازيغي. قسم الفنون: جامعة وهران.
- عبد الوهاب عثمانى. (2006). تجربة المسرح الأمازيغي. قسم الفنون: جامعة وهران.
- عبد الوهاب عثمانى. (2006-2007). تجربة المسرح الأمازيغي. مذكرات ليسانس ، 10-25.
- عمر أزراج. (2020, 02 21). المسرح الأمازيغي الجزائري: المسار المؤلم والبحث عن الذات الثقافية- قلق الهوية في المسرح الناطق بالأمازيغية تاريخ الاسترداد 22 01 2023، من جريدة العرب: <http://www.alarab.uk>
- عمر قبائلي. (2022). نظرة تاريخية وأثنوبولوجية حول المسرح الجزائري. دراسات فنية ، 175.
- كاسي ثميلة. (2018\2019). الهوية الثقافية الامازيغية من خلال الاتصال والتفاعلية الرمزي في الأداء المسرحي الجزائري- دراسة تحليلية سمبولوجية على عينة من المقطوعات المسرحية وتلقي الأفراد لها-. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر3، كلية علوم الإعلام والاتصال،
- نجلاء نجاحي. (2016). التحريب في المسرح الأمازيغي الحديث بين الإبداع والاقتباس والترجمة- دراسة وصفية للأعمال المسرحية بالأمازيغية الحديثة في المغرب والجزائر. العلامة ، 61-74.